دور الشيخ حمزة بوكوشة في توعية المهاجرين الجزائريين بفرنسا عام 1938م

بقلم الدكتور/ عاشوري قمعون
أستاذ محاضر بجامعة الوادي

الملخص:

كان العلامة الشيخ حمزة بوكوشة من الرعيل الأول الذي حضر المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نادي الترقي بالجزائر العاصمة يوم 05-05-1931، وانتخب عضوا في المجلس الإداري للجمعية، ثم انتدب لفرنسا كمرشد ديني في وسط الجالية الجزائرية هناك عام 1937، وذلك من أجل توعية المهاجرين الجزائريين، وربطهم بمقومات أمتهم والمحافظة على شخصيتهم العربية الإسلامية من الانصهار في وسط المجتمع الأوربي الجذاب. والإشكالية المطروحة: هل نجح الشيخ في أداء المهمة التي أنيطت بعاتقه؟ وما هو الدور الذي قام به في فرنسا؟ وما مدى نجاحه في تحقيق ذلك؟

Résumé:

L'érudit Cheikh Hamza Boukoucha a été parmi la première génération, qui a assisté à la conférence de fondation de l'Association des savants musulmans algériens dans le club Ettarakki à Alger le 05 /05/ 1931, et a été élu membre du Conseil d'administration de l'Assemblée, puis détaché en France comme un guide religieux dans le centre de la communauté algérienne en 1937, afin d'accroître la sensibilisation des immigrés algériens, et en les reliant à leur nation Arabo-islamique, et en conservant leur personnalité de se fondre dans le centre de la communauté européenne attrayant. Le problème qui se pose: Est-ce que le Cheikh a réussi à l'accomplissement de la mission confiée à lui? Quel est le rôle a joué en France ? Et l'ampleur de son succès dans la réalisation de ce projet ?

توطئة:

افتتحت موضوع الدراسة بمقدمة، تطرقت فيها إلى إبراز أهمية البحث المتمثلة في إظهار مدى الدور الذي قام به الشيخ العلامة حمزة بوكوشة، الذي لم يجد الزمان بمثله، من حيث إلمامه بمختلف المعارف الفكرية والأدبية. فهو رجل تاريخ، وصحافة، وتربية، وقانون، وسياسة، وناقد أدبي، وفقيه، ومفكر ديني إسلامي، وشاعر لا يجارى ولا يشق له غبار.

أسئلة الدراسة:

تكونت الدراسة من الأسئلة التالية:

- من هو العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة، وما مقدار مساهمته في خدمة دينه وعقيدته وبني وطنه ؟
- ما سبب اختياره مندوبا عن الجمعية كمرشد ديني للجالية الجزائرية في فرنسا؟
- وما النتائج التي تمخضت عن الدور الذي قام به لدى الجالية؟

وستتم الإجابة عن هذه الأسئلة ومناقشتها من خلال مباحث الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- معرفة الأسباب الموضوعية التي جعلت ابن باديس ينتدب حمزة بوكوشة لفرنسا.
- إظهار مجالات التفوق التي ميزت حمزة بوكوشة عن غيره من العلماء والمفكرين.
- إدراك مدى ما قدمه الشيخ للجالية الجزائرية في المهجر.

منهج الدراسة:

يستخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الاستنباطي، حيث يقوم بقراءة وتحليل واستنباط المادة العلمية ذات الصلة بمحاور الدراسة من مصادرها العلمية، ومظانها

المتعددة، وبما يخدم مستوى الدراسة للوصول إلى إدراك الغرض من الموضوع وفق الخطة المرسومة. ويؤكد الباحث أنه أثبت جميع المعلومات التي توفرت لديه عن كل مصدر تمت مراجعته.

خطة الدراسة:

تكونت الدراسة من مقدمة، ومباحث خمسة، وخاتمة. وقد شملت مباحث الدراسة ما يلي:

- المبحث الأول: نشأته ورحلته في طلب العلم، والثاني: انتدابه إلى مدينة ليون بفرنسا، والثالث: مضمون التقرير السري للاستخبارات الفرنسية، والرابع: نص قصيدة هيهات يسبي فؤادي، والخامس: ما كتبته جريدة البصائر عن نشاطه في فرنسا.

المقدمة:

لم تقتصر جمعية العلماء في مشروعها الإصلاحي على الجزائر فقط، بل اهتمت بالجالية الجزائرية المقيمة في فرنسا، نظراً لتزايد عدد المهاجرين، وقلة أماكن التوجيه والتعليم في ديار الغربة. وكان عددهم يزداد من عام إلى آخر. وفي الالتفات إلى المهاجرين، دلالة واضحة على إدراك جمعية العلماء للوزن السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يمكن أن يمثله هؤلاء في المستقبل. إن وجود العلماء في فرنسا، يفسره أكثر خوفهم من انسلاخ المهاجرين وانصهارهم في الثقافة الغربية التي يعيشون في وسطها. لقد شعر العلماء بضرورة توجيه المغتربين، ودعوتهم إلى الحفاظ على أصالتهم وقيمهم، وحثهم على ممارسة شعائرهم الدينية. لكن اهتمامات الإصلاحيين بالجانب السياسي، خاصة في الفترة التي أشرف فيها الورتلاني(1900-1959) على النوادي، أثارت غضب السلطات الاستعمارية والحزب الوطني نجم شمال إفريقيا. فإذا كانت الأولى رأت في نشاط النوادي

خطراً على سياستها ومصالحها في الجزائر، فإن زعماء الحزب قد رأوا في أعمال النوادي منافساً سياسياً خطيراً لهم.

واستطاع العلماء من خلال نشاطهم في فرنسا، إيصال الأفكار الإصلاحية إلى المهاجرين الجزائريين، وتوجيههم توجيهاً دينياً وقومياً، وتعريف النخبة العربية المقيمة في فرنسا بكفاح الشعب الجزائري من أجل التحرر من سلطة الاحتلال، وبتاريخ الجزائر الذي كان مجهولاً في المشرق العربي، بسبب سياسة المراقبة والتعتيم والتشويه التي روجتها فرنسا في الوطن العربي[1]. لهذا رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس أنه من الحكمة انتداب الشيخ حمزة بوكوشة إلى فرنسا لمعرفته الجيدة به، وعلاقته المتميزة معه. فمن هو الشيخ حمزة؟ وإلى أية عائلة ينتمي؟

اشتهرت عائلة الشيخ حمزة بلقب بوكوشة قبل الشروع في تسجيل الحالة المدنية في الوادي عام 1937، ثم اختارت لقب شنوف، وهو أحد الأجداد في الشجرة العائلية.

والشيخ حمزة علامة زمانه، كبير في قومه، لم يجد الزمان بمثله في ظرف كان العلم فيه بضاعة كاسدة، لا تعود بالفائدة على صاحبها. لقد برز كطفرة في الإدراك والاستيعاب والفهم، والمجادلة في الحق أيضا مهما كان منافسه. لهذا وقعت عين العلامة ابن باديس عليه ليختاره مندوبا عن الجمعية حتى يتبوأ المكانة التي يستحقها. علما بأن ابن باديس قد قرب الشيخ إليه منذ أن كلف بالعمل في مدينة دلس من بداية نشأة الجمعية، وترك فيها انطباعا حسنا، وسيرة أحسن، دفعت أحد أعيان المنطقة ليكون له نسبا وصهرا، فزوجه إحدى بناته، حيث سبق له أن بنى بابنة عمه التي توفيت مبكرا، أي في حدود عام 1945، تاركة له ابنا-1972) (1934 سماه على والده البشير، وبنتا سماها باسم أمه. وتوفي هذا الابن أيضا عام

---

[1]- تركي رابح: "الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال". مجلة التاريخ، العدد 11، (الجزائر: السداسي الثاني 1981) ص58 ــ 74.

1972، بعد أن بلغ أشده واستوى وصار كهلا، فرثاه بثلاث أبيات مؤثرة جدا، يقول فيها:

قد كنت أرجـــو أن تكون مودعي عند الممات ولات حين رجائي

ودعت آمالي لدفنك في الثـــرى وفقدت بعدك صالح الأبنـــاء

إني ليسليني على مضض النـــوى قرب اللقاء بكم مع الحنفـــاء[2]

لقد شرفت بمعرفة الشيخ عن قرب عام 1979، فوجدته ممن لا يمل جليسه. كما التقيت به خلال الأسبوع الثقافي لولاية الوادي المنعقد بمدينة الجزائر عام 1988، وكنت محاضرا في النفق الجامعي، فصحح لي تاريخ واقعة لا زال يرن في أذني.

1- نشأته ورحلته في طلب العلم:

هو الشيخ حمزة بن البشير بن أحمد بن بوكوشة، وأمه مريم بنت عمار حشية. ولد بحي أمي سلمى بالوادي خلال عام 1907، وعائلته تنتسب إلى عرش الأعشاش. حفظ القرآن الكريم في زاوية سيدي سالم على يد الطالب العيد بن بكار. ثم درس على بعض شيوخ الوادي مثل: العلامة إبراهيم بن عامر (1875-1932)، والعالم الكفيف محمد بن الجديدي (1882-1937) والشقيقين: الطاهر (1886-1968) وأحمد العبيدي (1888-1977).

ثم انتقل مع والده إلى بسكرة، وتابع دروسه في الزاوية القادرية على يد الشيخ علي بن إبراهيم العقبي رفقة صديقه الشاعر الموهوب محمد العيد آل خليفة(1904-1979). كما تعلم على يد الشيخ المختار بن عمر اليعلاوي في جامع

[2]- حمزة بوكوشة: من خواطر الصبا والشباب، والكهولة والمشيب. جمعه ونشره الأستاذ سهيل شنوف، الجزائر، 2012، ص 107.

القائد. وفي عام 1923، توجه إلى جامع الزيتونة، وحصل على شهادة التطويع عام 1930 .

2- انتدابه إلى مدينة ليون بفرنسا:

انتدبته جمعية العلماء إلى مدينة ليون[3] بفرنسا عام 1937، بصفته واعظا ومرشدا للجالية الجزائرية هناك[4]. قال الشيخ حمزة: انتخبت عضوا مستشارا في مكتب جمعية العلماء، فأوفدتني الجمعية إلى فرنسا، كما أوفدت غيري من شبابها آنذاك لمساعدة الشيخ الفضيل الورتلاني(1900-1959) رحمه الله، الذي أسس في باريس باسم جمعية العلماء نوادي يعلم فيها ويعظ المغتربين. وامتدت فروعها إلى مدينة ليون، ومارساي، والسانتيتيان. وكان هو يدير المركز العام لنوادي الجمعية بباريس[5]، فكنت ممن أرسل إلى ليون، فمكثت بها سنة 1938، أحاضر بنواديها وأعلم. وقبل الحرب العالمية الثانية رجعت إلى الجزائر[6].

3- ليون Lyon مدينة تقع بالجنوب الشرقي من فرنسا. وتعتبر العاصمة الإدارية للرون ولمنطقة الرون الألبية. وهي ملتقى نهري الرون والسون. تعد بعد باريس ثاني أكبر المدن الفرنسية. تبلغ مساحتها حوالي 48 كم^2.(الباحث)

4- عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة. مطبعة سخري، الطبعة الأولى، 2012، ص 35.

5- تتركز النوادي الستة في باريس وضواحيها، حيث يتمركز عدد كبير من الجزائريين. ويشتمل النادي غالبا على قاعة للمحاضرات، وأخرى للصلاة، وحجرة أو أكثر للتعليم، بالإضافة إلى فضاء لالتقاء العمال، وتناول المباح من المشروبات. وعليه، فإن النادي هو أشبه ما يكون بمؤسسة شاملة، يلتقي فيه الناس للتعارف والتضامن، وتلقي العلم، وأداء شعائر الإسلام. وكانت نوادي العلماء في فرنسا لا تتلقى أي إعانة من السلطة الفرنسية، بل كانت تعتمد على اشتراكات الجالية الجزائرية، ومعوناتها المالية. ارجع إلى سعيد بورنان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011،ص 79.

6- حمزة بوكوشة: ما رأيت وما رويت. الجزائر، 2012، ص92؛ محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي، ج3. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000، ص129.

وقد التأم شمل نوادي التهذيب بفرنسا في شهر ديسمبر 1937، وقد حضر ممثلو 35 فرعا، صادقوا في الاجتماع على برنامج جمعية العلماء، وتم تعيين حمزة ممثلا للجمعية في مدينة ليون، والشيخ فرحات الدراجي (1906-1951) ممثلا لها في مدينة مرسيليا[7].

كانت مهمة الشيخ حمزة بوكوشة هي الإشراف على حركة العلماء في عمالة الرون، وتعهد المهاجرين الجزائريين هناك بدروس الوعظ والإرشاد، وبتدريس العربية، وتنظيم المحاضرات، والإشراف على زواج المسلمين، واستقبال الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام، وإحياء المواسم الدينية، وتمثيل المسلمين في النشاطات الاجتماعية الفرنسية والمراسم العامة.[8] لذلك لم يقتصر نشاطه على مدينة ليون فحسب، وإنما امتد إلى مدن عديدة في هذه العمالة[9]

3- مضمون التقرير السري للاستخبارات الفرنسية:

كانت الاستخبارات الاستعمارية تتابع مختلف نشاطات العلماء وتترصد أخبارهم وتراقب تحركاتهم، وترفع ضدهم التقارير السرية وتبعث بها لمختلف مصالحها وإداراتها، سواء في داخل الجزائر أو خارجها، ومنها هذا التقرير السري الذي أعده عامل عمالة الرون، وأرسله إلى الحاكم العام بالجزائر، ردا على رسالتين تلقاهما منه. وكتب التقرير بمدينة ليون يوم 21 فبراير 1938، أي بعد وصول الشيخ حمزة بوكوشة إلى فرنسا بحوالي شهرين. وسجل فيه تاريخ وصول الشيخ حمزة إلى ليون الذي يصادف يوم 26 ديسمبر 1937م، والمكان الذي أقام فيه عند قدومه، ومدة الإقامة التي بلغت سبعة عشر يوما لدى المسمى السبتي.كما يتناول الغرض من الزيارة، والمحل الجديد الذي سكنه، وطبيعة العمل الذي

7- عاشوري قمعون: المرجع السابق ص35-36.

8- انظر: Le Jeune Musulman, n° 28, 12 mars 1954, n° 34, 18 juin1954.

9- سعيد بورنان: المرجع السابق، ج3 ص 129.

مارسه، وهو عبارة عن تقديم دروس في الوعظ والإرشاد في محلات لدى أفراد الجالية الجزائرية الذين يترددون عليها، وبعضهم كان يعاقر الخمر. ويذكر التقرير أن الشيخ حمزة قد علق لافتات في محله تتضمن حظر الكلام في المجال السياسي. ووعد عامل العمالة الحاكم العام في الجزائر بإعلامه بكل المستجدات الطارئة.

وها هو نص التقرير:

ليون، يوم 21 فبراير 1938

من عامل عمالة الرون

إلى السيد/ الحاكم العام للجزائر

(المديرية العامة للشؤون الأهلية- نيابة المديرية لأقاليم الجنوب)

مراقبة العلماء

حمزة بوكوشة

ردا على رسالتيكم رقم 205 و 411 المؤرختين في 13 و 21 جانفي المنصرم، أتشرف بإعلامكم أن المسمى حنزلة بوكولهة، المولود في 1900 بالوادي، دائرة بسكرة، والذي يرجح أن اسمه هو حمزة بوكوشة الذي أشرتم إليه، أنه وصل إلى ليون، قادما من الجزائر يوم 26 ديسمبر 1937.

أقام إلى غاية يوم 12 جانفي الماضي لدى المسمى السبتي في 14، شارع باك بأولان. Oullins ومنذ هذا التاريخ، استقر في مركز معاشات باريسوت، Parisut Pension 13، شارع الورشات بمولاتيار. Mulatière

والواقع أن حنزلة قدم إلى ليون لتسيير وتطوير الدوائر التربوية الموضوعة تحت إشراف جمعية العلماء، والتي أنشئت سابقا بليون وفي أرباضها. وقد حصل في أولان على محل فسيح نسبيا، يحتوي على سكن استغله فيما بعد.

ومن جهة أخرى، سبق وأن قام بتقديم دروس لمختلف صفوف شاربي الخمر، وتابعها عدد من التلاميذ. ومن خلال القائمين بالتنظيم، فإن هذه الدروس ليس لها من غرض آخر سوى الرفع من المستوى المعنوي والفكري للمسلمين، والسيد حنزلة وضع لافتات في محله بأولان، تحمل الكتابة التالية: يمنع منعا باتا التكلم في السياسة. وحسب المعلومات المستقاة، فإن حنزلة يمتلك في الوقت الحالي قليلا من المال، أعطي له دون شك، من قبل جمعية العلماء. وعندما يتزايد إقبال التلاميذ على دروسه، فإنه يطلب منهم دفع إسهامات مالية.

أما فيما يتعلق بالمسمى عبد القادر بن الأكحل، أصله من أولاد جلال، والمدمن على شرب الخمر بمولاتيار، فلا يمكننا الجزم أن يكون رئيسا لخلية العلماء بمدينة ليون، بيد أنه على اتصال بالمرشدين في هذه الخلية، وحتى الآن، يبدو أنه واقف على الحياد، وغير مكترث بالجانب السياسي.

وأضيف أن أحدا يسمى سي محمد بن مالك، من دوار أزراس(بلدية بسكرة)، وآخر يدعى سي الجلالي بن صالح، سبق وأن أرسلا من الجزائر إلى ليون لتنظيم الدوائر التربوية، وهما في الوقت الحالي في سانت إيتيان Saint Etienne للقيام بنفس المهمة.

إن نشاط المدعو حنزلة بوكولهة، وتطوير الدوائر التربوية هما محل مراقبة خاصة، لا أتأخر أبدا في إبلاغكم عن كل المستجدات.

عامل عمالة الرون

نسخة طبق الأصل للإعلام

السيد: رئيس مصلحة استخبارات أقاليم الجنوب

الجزائر، في 01 مارس 1938

نائب رئيس مصلحة الشؤون الأهلية والمستخدمين العسكريين[10]

4- نص قصيدة هيهات يسبي فؤادي:

لقد كان وقع سفر الشيخ حمزة بوكوشة إلى فرنسا كبيرا، ولاسيما حينما غادر الأتراب والأقران، والأهل والخلان، مخلفا وراءه أسرة لا يمكنها مرافقته، بل يستحيل عليها مصاحبته، وإن العين لبصيرة واليد قصيرة، في بلد بضاعته مكلفة وغزيرة. علما بأن الشيخ لم يسجل في المدارس الرسمية، ولا يحسن التخاطب باللغة الفرنسية، بل كان يبغضها ويحتقرها، وله رأي في ذلك، حيث قال:

وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لقنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر، إن لم تكن الكفر عينه. وقد يبدو أن هذا جمود وركود، ولكنه، فيما أرى، لا يخلو من صواب. هو أن قراءة الفرنسية في تلك الآونة هي من المتشابهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. فلو أننا فيما مضى أقبلنا على الفرنسية، لزاحمنا العربية أو أهملناها، وتفتح لنا الفرنسية نوافذ على الشهوات والملذات، وهي لغة الغالب، والمغلوب مولع بتقليد الغالب[11].

لهذه الأسباب، نفر الشيخ من تعلم اللغة الفرنسية وأخواتها، ولم يكن مرتاحا عند انتدابه لفرنسا، لأن جذوة الثورة تفور في أحشائه وتتأجج في سويداء قلبه، فتفجرت قريحته وتفتقت شاعريته، وبعث من هنالك هذه القصيدة إلى جريدة البصائر في أفريل 1938، عندما كان يحررها الأستاذ مبارك بن محمد الميلي(1898-1945) هذا نصها:

هل يفقــه الرون تغريبي وتغريـــــدي ... وما أكابد من هم وتسهيـــــــد؟

هل يفقه الرون ما بالجسم مـــــن محن ... والقلب من شجن في ليلة العيــد؟

---

[10]- انظر: Archives d'Outre-mer, Aix-en-Provence, A.O.M.,26 H 3.

[11]- مراسلة الشيخ حمزة بوكوشة للدكتور علي غنابزية في جانفي عام 1994.

فيها جفـــاني أحبابي -ولا عجـــب- فجلهم سمر للخرد الغيـــــد

فيها سهـــرت وحيدا لا مؤانـــس لي كـــأنني مدفع في بيت رعديـــد

فيها تذكرت - والذكـــرى مروعـــة- من قد تركت قطين الرمل والبيـد

في ذمة الله من خلفت مكتئبـــا ولا يلذ له بعدي وتبعيـــــدي

من رفقة كحبـــاب الراح قربهـــم ما منهم غير مختار ومحمـــود؟

وما جفوني يومـــا مـــذ عرفتهـــم كأنهم والد بر بمولـــــود

لا تنسنيـــهم مرائي الرون عن كثب وما بها من طـــوال القـــد والجيـد

كحسن آنسة بالرون مائســة رمت وصـــالي ولم تبرم لتفنيـــد

الشرع يمنعني والعـــرف يمنـــحني بـــت مـــا بين محـــروم ومجـــدود

هيهات يسبي فـــؤادي في منازل من سبـــوا بلادي فبت شبه مطـــرود

فدى بلادي أنفاس أرددها وإن خسرت حياتي دون ترديـد

أرض النبوغ ومهد العز من قـدم لا عاش من سامها خسفـا بتقيـيد

إن لم تكن أنجبت في الجيل من رجل إلا ابن باديس يبقى غاية الجـود

ابن المعـز أعـز الدين محتسبـا من الإله عطـاء غير مجـــــذود

فقـام قومـــة ليـث (للتفرنس) لم يحفل ببـارق إبعـاد وتهديـد

دمت ابن باديس ربانا لنهضتنـا تلقي مراسيها بالطور والجـــود

إن الجزائـــر لا تسمو بغيركـم فكنت منها مكان النحر والجيـد[12]

12- جريدة البصائر عدد 108، في 15 أفريل 1938 ص7؛ معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الثاني، مؤسسة جائزة سعود البابطين، الكويت، 1994 ص 170-171.

ومن خلال مضمون القصيد، نلاحظ لوعة الفراق التي كابدها الشيخ حمزة في الغربة، ولاسيما أن الإغراءات كثيرة ومتنوعة، خاصة وأنه غادر زوجته وابنيه، وتركهما صغارا عند أهله. ولعل تلك الفتاة الشابة الفرنسية، ذات القامة الفارعة، والطرف الكحيل، والخد الأسيل، والردف الثقيل، والخصر النحيل، والتي أعجب بها الشيخ[13]، قد راودت فتاها عن نفسه فلم يشغفها حبا، وربما كان ذلك دسيسة من الاستخبارات الاستعمارية التي تبذل قصارى جهدها لتشويه سمعة الشيخ، وتلطيخ شخصه، ومع ذلك، كان الشيخ محصنا بقوة الإيمان، وصدق العزيمة، وهو في عنفوان فتوته، لا يتجاوز عمره الواحد والثلاثين عاما، ورغم هذا، نجح في لجم جماح شهواته، وكبح هوى النفس والشيطان طبقا لقول البصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما فإن هما محضاك النصح فاتهم

ويبدو لي أن هذه هي الذريعة التي اعتمدها ابن باديس، عندما وقع اختياره على الشيخ حمزة ليمثل الجمعية في مدينة ليون. ونتساءل هنا: لماذا لم ينتدب ابن باديس الشيخ الأمين العمودي (1892-1957) مثلا، بالرغم من احترامه وتقديره الشديد له، حتى لقبه بعمودي، أي عصاي التي أتوكأ عليها؟ والجواب: أن شخصية الشيخ حمزة مغايرة تماما لسجايا العمودي رحمه الله، وهو القائل:

وبخت عاقلهم يومـــــــا فجاوبني وكان يعشق بعض(المدموازيـــــل)

أأقتدي بالذي تبدى وأرغب عن عود يرن وحسنـــــــاء(تسربي) لي؟

عفيفة لم تزل أصلا بكارتهـــا تجر ذيـــــلا وتمشي(بالترنكيل)[14]

---

[13]- مقابلة مع الشقيقين حسين وشكري شنوف (ابني أخ الشيخ)، مفتش بخزينة الولاية، وطبيب بيطري، يوم الاثنين 11 فيفري 2013.

[14]- محمد الصالح الجابري: رحلات جزائرية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ص 67-68.

5- ما كتبته جريدة البصائر عن نشاط الشيخ في فرنسا:

لم يسجل الشيخ حمزة في مدوناته الكثير عن عمله في مدينة ليون، وسنكتفي هنا بنشر مقالين صدرا في جريدة البصائر، يبرزان نشاطه على ضفاف نهر الرون، ولالوار[15].

المقال الأول: بقلم يوسف لمعافي تحت عنوان: "أحاديث جمعية العلماء وحوادثها وأعمالها على ضفاف الرون".

لقد قامت جمعية العلماء بما عاهدت الله عليه داخل القطر الجزائري من تهذيب الكبار بدروس الوعظ والإرشاد، وتربية الأبناء الصغار وتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي. وقد امتد نظرها لما وراء البحار، فأرسلت دعاة للنواحي التي يسكنها المسلمون من بلاد فرنسا، وقد كان من بين الذين بعثتهم: الشيخ فرحات بن الدراجي إلى مرسيليا، والشيخ حمزة بوكوشة إلى ليون، فقاما بما أنيط بعهدتهما أحسن قيام. وقد ساعدني الحظ يوم السبت مارس (1938)، فشاركت في حفلة افتتاح نادي التهذيب بأولان (رون)، فأتى الناس لمشاهدة هذا الاحتفال من ليون وضواحيها، ومن السانتتيان. وكان النادي يسحر الألباب بمنظره الجميل وأثاثه الفاخر.

15- نهر الرون (بالفرنسية: Rhône)، هو واحد من الأنهار الرئيسية في أوروبا. ينبع من سويسرا ويصب في جنوب شرق فرنسا بطول إجمالي قدره 812 كم، ويخترق مدينة ليون. أما نهر اللوار، فهو يعدّ أطول الأنهار الفرنسية، حيث يبلغ طوله 1020كم، كما يتبوأ المرتبة الأولى أيضاً بين بقية الأنهار الفرنسية، من حيث مساحة حوضه التي تبلغ 115120كم^2. ينبع نهر لوار على ارتفاع 1408م من جبال جيربييه دو جون Gerbier- de- Jonc في منطقة الآردش Ardèche على بعد 150كم من ساحل البحر المتوسط، متجهاً شمالاً عبر أخاديد وصدوع الكتلة المركزية Massif central، ثم يمر في المنطقة السهلية بالقرب من روان Roanne على مسافة 285كم من منبعه. (الباحث)

ولما أتى الوقت المعين للافتتاح، صعد على المنصة الشيخ حمزة، وشكر الحاضرين وحياهم، وأوضح لهم أعمال جمعية العلماء، وقال لهم: "إن هذه الجمعية تتألم لتتنعموا، وتتعب لتستريحوا. وهي منذ أسست لم تزل تصارع وتجاهد في سبيل إحياء الإسلام والعربية، ولا يعلم إلا الله ما كابدت الجمعية وما قاست، وما اعترضتها من عقبات مدميات، وما زالت لليوم تعترضها العقبات، وتشتد عليها الأزمات، ولكن الجمعية صابرة، ومؤمنة بأن النصر شجرة لا تسقى إلا بالصبر". إلى أن قال:

الجمعية ثبتت على خطتها ولم تتزحزح، حتى الوقت الذي كانت أذن الحكومة صماء داخل الجزائر وخارجها عن شكاة الجزائريين، ذلك الوقت الذي هو وقت الشدة بحق، وهذا الوقت، وإن كان وقت شدة، فهو بالنسبة لما مضى وقت رخاء". قال: إن جمعية العلماء لا تسير إلا حسب القواعد العلمية، لذلك ترون حركاتها ثابتة أمام الزوابع والزعازع".

ثم قال: "وإن جمعية العلماء لا تريد إهمالكم وترككم سدى، وإن فارقتم الجزائر فهي لحقتكم إلى فرنسا، وأسست لكم النوادي كهذا النادي، الذي ما هو إلا مسجد لمن أراد الصلاة، ومدرسة لمن أراد التعليم، ونادي لمن أراد سماع الوعظ والإرشاد. وها أنتم ترون رأي العين أن ما بذلتموه من الإعانة لهذا المشروع بين أيديكم. فالدار داركم وما فيها لكم، وما نحن إلا دعاة خير". وقد استغرق خطابه ساعة كاملة تعرض فيها للتعليم وفوائده، قال: "إن حياة الأمم متوقفة عليه، وأن الذي يريد الحيلولة بين الأمة وبين التعليم، فهو يريد الحيلولة بينها وبين الحياة."

ثم قام الشيخ محمد وعلي، معتمد جمعية العلماء بالسانتيان، الذي سعى هناك مع جماعة من أنصار الإصلاح من أجل تأسيس ناد، وقبل التأسيس كان الشيخ

حمزة بوكوشة يتعهد هذه الحركة بالمحاضرات والدروس في الأماكن العامة[16]. وخطب الشيخ محمد وعلي، وحث الناس على العلم والعمل والاتحاد، وذكر لهم محاسن الإسلام. ثم قام الأديب السيد محمد الصالح الشني، وخطب وقال: إن المولى تعالى أول ما أنزل على الرسول(صلعم) اقرأ، وشاعر العروبة المتنبي يقول:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فانظروا إلى مكانة القراءة كيف ابتدأ المولى تعالى، وكيف تغنى بها الشاعر العربي. فالقراءة هي أساس السعادة، إذ السعادة بالعلم، ولا علم إلا بالقراءة. ثم قام الشيخ غريسي عمر وألقى خطبة، أثنى فيها على الشباب وعزيمة الشباب. وبعده قام الشيخ حمزة، وحرض الناس على العمل، وذكر مآثره ومضار البطالة والكسل. وقال بعد: لا يفوتني إسداء الشكر للعاملين الذين عملوا وضحوا بأوقاتهم وأموالهم في تنميق النادي كجماعة مون بليزير Mont Plaisir وجماعة أولان، وأخص منهم السيد الأكحل عبد القادر، الرجل العامل، والسادة: بوزيد عمر، والسماتي عبد السلام، ودبكة جاء بالله، على ما قاموا به وتحملوه من الأتعاب. وإني إن شكرت هؤلاء، فإني أريد من بقية الإخوان تقليدهم في التضحية والعمل. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[17].

المقال الثاني: بقلم عباس الونيس تحت عنوان: "جمعية العلماء بضفاف لالوار La Loire.

16– العباس الونيس: "جمعية العلماء بضفاف لالوار". البصائر، العدد 114، (الجزائر: 20 ماي 1938) ص4؛ سعيد بورنان: المرجع السابق ج3 ص 130.

17– يوسف لمعافي: " أحاديث جمعية العلماء وحوادثها وأعمالها على ضفاف الرون ". البصائر، العدد 108، (الجزائر: 15 أفريل 1938) ص2.

في غرة شهر أفريل سنة 1938، احتفل المسلمون بمدينة سانت إيتيان بافتتاح نادي إسلامي للوعظ والإرشاد تحت اسم نادي التهذيب، لكونه فرعا عن جمعية التهذيب بباريس. وقد كان هذا النادي من ثمرة جهود الشيخ محمد وعلي بن الهاشمي، مبعوث جمعية العلماء لعمالة لالوار. وقد استدعت هيئة إدارة النادي الشيخ حمزة بوكوشة من مدينة ليون للمشاركة في هذا الاحتفال، فلبى الدعوة، وكيف لا يلبي وقد تعهد حركة السان إتيان قبل تأسيس النادي بالمحاضرات والدروس في الأماكن العامة. أتى الشيخ حمزة بوكوشة، وعلى الساعة الثانية اكتظت ردهات النادي بالمستمعين، فافتتح الحفلة الشيخ محمد وعلي بتلاوة سورة الصف بصوت رخيم. ثم ألقى خطابا حث فيه على التواصي بالحق والتواصي بالصبر والوفاء بالعهد. ثم تقدم الشيخ حمزة بوكوشة، وألقى خطابا، شكر فيه إدارة النادي على جهادهم وجلادهم، وقيامهم بالحركة منذ أشهر وهم أقلية، وقال: "إني مؤمن بأنكم، وإن كنتم أقلية، أهل المستقبل، وستفاخرون كل أكثرية، وذلك نتيجة الثبات والتضحية الذي فقهته في أفراد منكم لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة." ثم تعرض لجمعية العلماء المسلمين، ولأعمالها التي هي في صالح المجموعة البشرية، وإنها قامت بواجبها داخل الجزائر وخارجها، وفاء بما عاهدت الله عليه. ثم تعرض بصفة خاصة لأعمال الشيخ عبد الحميد بن باديس في الصحافة والدعاية والتدريس، وقال: " إن هذا الرجل العظيم لا تعرف الأمة قيمته اليوم، ولكن بعد موته، وإن كنت أكره أن أفوه بهذه الكلمة، ستعلم قيمته، ويحس أعداؤه، الذين هم أعداء لدينهم ووطنهم، وخز الضمير."

ثم أثنى على الشيخ محمد وعلي، وقال: "إن مكابدة الشيخ محمد وعلي ومقاساته وتضحياته لا يعلمها إلا من ذاق طعمها ولفحة هجيرها.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها[18]

فأنتم كلكم مدينون له بالشكر والثناء، وشكره واجب عليكم. ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله". ثم حث الحاضرين على مد يد الإغاثة، وقال: لو أن كل حاضر أعان بفرنك واحد، لتمكن لنا جمع مئات في هذا الاجتماع، فتبرعوا وليتبرع كل واحد حسب طاقته. وها أنذا أتبرع بفرنكين وهذا ما أستطيعه.

وفي طبعي السماحة غيـــر أني على قدر الكساء مددت رجلي."

فتبرع الحاضرون تبعا للشيخ حمزة أحسن الله للجميع. ثم قام السيد واموسى المولود، وأشاد بذكر العلم وفضله، ونصح الحاضرين نصائح غالية. ثم الشيخ غريسي عمر وألقى خطبة هامة تدور حول قوله تعالى: "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله... الآية."

ثم قام السيد ابن الشيخ أحمد، ودعا الناس إلى التعاضد والتساند، وحمد الله على إتمام المشروع. ثم قام السيد الأخضر عوشيش، وبين أعمال جماعة النادي، وشكر جمعية العلماء ورجالها العاملين. ثم قام الشيخ محمد وعلي، وأثنى على الخطباء وعلى الحاضرين الفضلاء، وبين مواقفه المشرفة، وقال كثير من الناس أتوني بالدراهم، فرددتها عنهم لأنني ما أتيت إلا لنشر الهداية الإسلامية. ومن قبضت منه شيئا على غير اسم الجمعية فإني أتحداه. وتكلم كثيرا، وختم الكلام فقال: وها قد تأسس النادي، وتمت الأعمال والحمد لله على كل حال.

18- ينسب هذا البيت لعدد من الشعراء، منهم: النفري، والأبله العراقي. يقول الصفدي في ترجمته للأبله العراقي في كتابه الوافي بالوفيات: هو محمد بن بختيار بن عبد الله، المعروف بالأبله البغدادي، الشاعر المشهور. أسلوب شعره حلو الصناعة، رائق البراعة.(الباحث)

قائمة المجلس الإداري

لخضر عوشيش	رئيس
رعاش أحمد	نائبه
مولود واموسى	أمين المال
عباس الونيس	نائبه
عمر غريسي	كاتب عام
ساحلي علي	نائبه
ابن الشيخ أحمد	مراقب
بوزيدي مولود	نائبه

أعضاء مستشارون

حميمي الصغير- شباح مولود- حماش العربي- محمود الأزهري- أكلي الربيع- تواني مبروك- باش شعبان- عبد السميع واعلي.

سان إتيان عباس الونيس[19]

الخاتمة:

ومما سبق، يجدر بنا أن ننوه بخصال الشيخ حمزة ومزاياه على جمعية العلماء. إذ وظف جميع خبراته وكل ذكائه في خدمة وطنه ومواطنيه، لربطهم بمقومات أمتهم العربية الإسلامية وتاريخها التليد. واستطاع أن يلملم شملهم، ويأخذ بأيديهم نحو بر الأمان والنجاة على متن سفينة الحياة، وذلك حتى لا يقعوا فريسة بين مثالب الاستعمار الذي يعمل، بدون هوادة، على طمس شخصيتهم ومسخ هويتهم، خاصة وأنهم يشتغلون على أديم أرضه وفي عقر داره، وهم بين ظهرانيه، وكالميت بين يدي غاسله. لذا، آلت جمعية العلماء على نفسها أن تنهض لأداء

[19]- العباس الونيس: "جمعية العلماء بضفاف لالوار". البصائر، العدد 114، (الجزائر: 20 ماي 1938) ص4.

واجبها، بتخليص أبناء الجالية الجزائرية المسلمة من الفسخ والمسخ والنسخ، وكلفت الشيخ حمزة ليقوم بأعباء هذه المسؤولية، لما يتوفر عليه من صفات حميدة ورشيدة، مثل: التقوى، والورع، ورجاحة العقل، والتدين الصحيح، وشساعة ثقافته الفقهية والتربوية، وسعة صدره. وقد تمكن الشيخ من تحمل الأمانة بكل ثقلها وأوزارها، وقام بواجبه أحسن قيام، في وقت يندر فيه ذلك المعدن الثمين، ذي العيار الثقيل.

النتائج والتوصيات:

من خلال الدراسة التي أجريتها على الموضوع الآنف الذكر، يمكننا التوصل إلى النتائج والتوصيات التالية:

1- النتائج:

- يعود تفرد شخصية الشيخ حمزة بوكوشة بخصوصيات متميزة، إلى تنوع مشارب ثقافته.
- استجابة الشيخ حمزة السريعة لتحصين أبناء وطنه في أرض الغربة.
- المحافظة على شخصية الجالية الجزائرية، انتصار للعرب والمسلمين عامة.

أما التوصيات فيمكننا إجمالها فيما يلي:

2- التوصيات:

- تنويع مصادر الثقافة أساس الرقي والازدهار، والتفتح على الآخرين.
- العمل على إحياء الموروث الثقافي في جميع المجالات، كفيل بنهضتنا.
- بناء شخصية الإنسان، باحترام تاريخه وأخذ العبرة منه.
- الاقتداء بالسلف الصالح، كفيل بضمان استمرارية التمسك بأصالتنا، وعدم انسلاخ شخصيتنا.

ثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث

1- البصائر عدد 108، بتاريخ 15 أفريل 1938.

2- البصائر، العدد 114، بتاريخ 20 ماي 1938.

3- بورنان سعيد: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

4- بوكوشة حمزة: من خواطر الصبا والشباب، والكهولة والمشيب. جمعه ونشره الأستاذ سهيل شنوف، الجزائر، 2012.

5- ــــــــــــــ، ــــــــــــــ: ما رأيت وما رويت. الجزائر، 2012.

6- الجابري محمد الصالح: رحلات جزائرية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001

7- رابح تركي: "الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال". مجلة التاريخ، العدد 11، (الجزائر: السداسي الثاني 1981).

8- الصديق محمد الصالح: أعلام من المغرب العربي، ج3. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000.

9- قمعون عاشوري: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة. مطبعة سخري، الطبعة الأولى، 2012.

10- لمعافي يوسف: " أحاديث جمعية العلماء وحوادثها وأعمالها على ضفاف الرون ". البصائر، العدد 108، (الجزائر: 15 أفريل 1938).

11- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلد الثاني، مؤسسة جائزة سعود البابطين، الكويت، 1994.

12- الونيس العباس: "جمعية العلماء بضفاف لالوار". البصائر، العدد 114، (الجزائر: 20 ماي 1938).

13-انظر: Archives d'Outre-mer, A.O.M., Aix-en-Provence, 26 H3.

14-انظر: Le Jeune Musulman, n 28, 12 mars 1954, n 34, 18 juin 1954

15- مراسلة الشيخ حمزة بوكوشة للدكتور علي غنابزية في جانفي عام 1994.

16- مقابلة مع الشقيقين حسين وشكري شنوف (ابني أخ الشيخ)، مفتش بخزينة الولاية، وطبيب بيطري، يوم الاثنين 11 فيفري 2013.